بالرغم من التغيّرات الكبيرة التي أحدثتها الحرب العالميّة الأولى في لبنان استمرّت الكثير من الأمور على حالها. كان أبرز رواد الحركة القوميّة التي برزت في نهاية القرن التاسع عشر من المفكرين اللبنانيين الموارنة الذين تولدّت عندهم يقظة فكرية وثقافية وتساؤلاً حول مصير بلادهم وعلاقتها بمحيطها فنشطوا لإحياء اللغة والتراث العربيين والمناداة باستقلالية قرار الشعوب العربية. وفي خضم هذه الحركة قاموا بفتح حوار عميق في لبنان وسوريا ومصر متناولين العلاقة بين الإسلام والعروبة، وبين العلمانيةّ والحريّة الدينيّة. ولقد كانت الاتجاهات السياسية لهذه النخبة متنوّعة فمنهم من نادى بالقوميّة اللبنانيّة، ومنهم من سعى إلى ابراز القوميّة العربيّة في إطار اللامركزيّة الإداريّة في الدولة العثمانية، ومنهم من طالب بالوحدة العربيّة. كما برزت تيارات عديدة بين المسلمين تنوّعت مطالبها بين الدعوة إلى مملكة عربية موحدة، أو إلى وحدة إسلامية، أو إلى البقاء ضمن الدولة العثمانية مع بعض الضمانات.

ولعل الانشقاق بين القوميّة اللبنانيّة والقوميّة العربيّة، والذي ظهر بعد 1909 عند استلام حزب الاتحاد والترقي الحكم واعتماد سياسة التتريك، **اكتمل في أواخر الحرب**. فعندما وُضع لبنان تحت الحكم العسكري العثماني في بدء الحرب، التقت مسارات القوميين في وجه التعسّف العثماني ولمواجهة المآسي التي ضربت لبنان. لكن بعد إعلان الثورة العربية في 1916، **عاد الانقسام ليَظهر** فكان من دعا بالاتحاد العربي ضمن دولة عربية كبيرة تضم الجزيرة العربية والولايات السورية والعراق بقيادة الشريف حسين، ومنهم من دعا الى الاتحاد السوري في دولة ضمن حدود سوريا الطبيعية، ومنهم من دعا الى دولة تحت الحماية الفرنسية، ومنهم من تمسّك بالفكرة "اللبنانوية" ودعا لاستقلال لبنان التام.

لا شكّ من أنّ الحرب أنهت أربعة قرون من الحكم العثماني. فبعد استسلام تركيا أمام الحلفاء، دخل الجيش الانكليزي، في 8 تشرين الاول 1918، بقيادة الجنرال اللنبي ترافقه كتيبة فرنسية. وكان الأمير فيصل بن الحسين، شريف مكا، قد دخل مع الثوار العرب إلى دمشق وأعلن قيام حكومة عربية فيها، وفي اليوم ذاته سلّم والي بيروت الحكم إلى عمر الداعوق أحد وجهاء المدينة فأعلن قيام حكومة عربية فيها ورفع الأعلام الشريفية على المباني العامة، ووصل شكري الأيوبي من قبل الأمير فيصل للسيطرة على بيروت ثمّ توجّه إلى بعبدا ورفع العلم العربي فيها، لكن هذا الحكم العربي **لم يدم** سوى عدّة أيّام فمع دخول الحلفاء، وضع الجنرال اللنبي الخطوط العريضة للحكم العسكري في سوريا التي اعتبرت "بلاد العدو المحتلة". وفي أواخر نيسان من عام 1920 أقر مجلس الحلفاء الأعلى في سان ريمو في إيطاليا **الانتداب الفرنسي** على سورية ولبنان. في 31 آب 1920 أصدر المفوض السامي الفرنسي غورو مرسوماً يضمّ أراضي المتصرفية وبيروت والبقاع ومدن طرابلس وصيدا وصور وملحقاتها في دولة واحدة. وفي اليوم التالي، قام بإعلان **"دولة لبنان الكبير"** تحت الانتداب الفرنسي. وبذلك، **انتقل لبنان** من نير الحكم العثماني إلى سيطرة فرنسا، الدولة المنتدبة من قبل الحلفاء. وكانت فرنسا وبريطانيا قد عقدتا خلال الحرب، في 1916، تفاهماً على تقاسم أراضي الدولة العثمانية بعد انتصار الحلفاء. عرف هذا التفاهم باتفاقية سايكس – بيكو، وينص على تقسيم المشرق العربي إلى مناطق نفوذ لكلّ من الدولتين. وكان الانكليز أيضاً قد أصروا على بسط نفوذهم في فلسطين ليتسنّى لهم تنفيذ وعدهم بإعطاء اليهود وطن قومي فيها، وهو ما يعرف بوعد بلفور. وبين الانكليز وفرنسا وتفكك الثورة العربية، ضاع الحلم ببناء لبنان المستقل وحتى ببناء مملكة عربية مستقلة كما وعد الانكليز الشريف حسين خلال الحرب.

LAH Lebanese Association for History
الهيئة اللبنانية للتاريخ

وبالرغم من أنّ لبنان سيعرف في ظل الانتداب نمطاً جديداً في الحكم والمشاركة في الحياة السياسيّة، **يختلف** إلى حدّ كبير عن نظام السلطنة العثمانيّة، كان هناك الكثير من **الاستمراريات**. اعتمدت فرنسا سياسة "التنظيمات" العثمانيّة التي تعطي "الملل" حقوقاً خاصة ضمن الدولة فبرّرت وجودها في لبنان وسوريا بحماية الأقليّات المسيحية والدرزية والشيعية والعلوية فيهما. واستمر اعتماد الطائفيّة السياسيّة، التي أقرّها بروتوكول 1861، في مجالس التمثيل. وعليه، انتخب في 1922 مجلس تمثيليّ عام على أساس توزيع طائفي للمقاعد، وهي الصيغة التي بقيت سارية حتى يومنا هذا. كما سيشهد لبنان في المرحلة الجديدة ولادة لدستور الجمهورية اللبنانية وبناء مؤسساته الدستورية. **وبالرغم من** فصل لبنان عن سوريا سياسياً على إثر إعلان دولة لبنان الكبير، أبقت فرنسا الدولتين في وحدة اقتصادية فكانت العملة موحّدة فيهما وكذلك الجمارك.

خرج اللبنانيون من الحرب منهكين أمّا المجتمع **فاستمر** كما كان بوجهه الاقطاعي، بتقاليده وعاداته وأزيائه. كانت الوجاهة للعائلات العريقة والميسورة، ووصل إلى السلطة من أقام علاقات مع أهل السياسة أو تقرّب منهم. **ظلّ** نمط الحياة البسيط السائد منذ القرن التاسع عشر. **بقي** معظم السكان يعتمدون على الزراعة وتربية الماشية، ولا يرتاح بالهم قبل تأمين المونة لفصل الشتاء. كانت الحياة متقشفة يغلب عليها طابع الفقر. **استمرت** هجرة اللبنانيين بحثاً عن مورد رزق على الرغم من انحسارها في سنوات الحرب. إنمّا ما لا شكّ فيه أنّ مرحلة الانتداب الفرنسي التي تلت الحرب غيّرت وجه لبنان. **دخلت** التقاليد الأجنبيّة تدريجياً إلى البلاد، من خلال المهاجرين العائدين او تأثراً بالفرنسيين لا سيّما في المدن، وانتشرت اللغة والثقافة الفرنسيّة. بدأ الكثيرون من الناس في المدن يلبسون الزيّ الأوروبي ويشترون قطع أثاث على النمط الغربي. أمّا الزراعة **فبقيت** في سنوات ما بعد الحرب تقليديّة، والصناعات يدويّة في غالبيتها، وانتعشت التجارة التي سعى الفرنسيون إلى تنشيطها لتأمين المواد الأوليّة لصناعاتهم.

ولا شك أنّ الحرب العالميّة الأولى التي غيّرت وجه أوروبا، غيّرت كلّياً خريطة المشرق العربي، وكان لبنان جزءاً من هذا التغيير. فلقد **أوجدت** الحرب دولة جديدة اسمها لبنان، فلبنان في حدوده المعيّنة لم يكن له وجود في التاريخ قبل إعلان "دولة لبنان الكبير". وبالرغم من أنّ السكان انتقلوا من حكم خارجي إلى آخر، ستُظهر الأحداث أنّ المرحلة الجديدة ستحمل في طيّاتها مساراً لبناء المؤسسات وإصدار دستور للبلاد والوصول في النهاية إلى الاستقلال.

كاتب النص لا يجيب عن سؤال "سببي". ما المفهوم الذي يدفع تحليلات كاتب النص؟
ما هو السؤال المخفي الذي يجيب عنه النص؟
ما الذي نتعلمه من استخدامه للغة التحليل الخاصّة بالتغيير؟

LAH Lebanese Association for History الهيئة اللبنانية للتاريخ